التفسير التحليلي للاستعاذة

الدكتور: محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي(*)

التمهيد:

يحاول الباحث في الصفحات التي بين يديك أيها القارئ الكريم الإلمام بما جاء عن الاستعاذة في القرآن الكريم وتفسيرها تفسيراً تحليلياً، وتقديمه مجموعاً مضموماً للتمكن من الاستفادة منه لمن أراد أن يعرف حكمها وفائدتها.

وقد تناول الباحث الموضوع من جوانب متعددة؛ فعرّف الاستعاذة لغة واصطلاحاً، مبيناً معناها، ثم تعرض لتفسير الاستعاذة تفسيراً تحليلياً من حيث الألفاظ والمضامين، بعدها كان لا بد من بيان حكم الاستعاذة من حيث المشروعية وفي الصلاة وعند التلاوة، وهو ما جاء في المبحث الثالث، تبعه المبحث الرابع الذي تضمن أركان الاستعاذة الأربعة، وفي المبحث الخامس حاول الباحث أن ينقل لقارئه صيغ الاستعاذة الواردة عن السلف. ولكون الاستعاذة تنقسم إلى مشروعة جائزة وممنوعة محظورة غير جائزة كالاستعاذة بالمخلوق من الجن والإنس وغيرهما، فقد بين الباحث النوعين المذكورين في المبحث السادس ثم ذكر طائفة من الآثار الواردة في فضائل الاستعاذة في المبحث السابع.

بعدها انتقل الباحث للحديث عن الشيطان من حيث المدلول اللغوي والاصطلاحي، وجاء المبحث التاسع لبيان أصل الشيطان؛ إذ اختلف فيه أهل العلم فأورد الباحث جملة من الآراء في ذلك، ثم بيّن ما ذهب إليه، ثم بيّن غاية الشيطان في الغواية وهو ما جاء في المبحث العاشر، ليبيِّن في المبحث الذي

(*) بكالوريوس في القرآن وعلومه من كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٦هـ.

- ماجستير في التخصص نفسه والجامعة نفسها عام ١٤١٥هـ.

- يعمل الآن عضواً بهيئة التدريس في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين جامعة الإمام.

- نائب المشرف العام في مؤسسة رسالة الإسلام.

يليه أنواع الشياطين، وليأتي في ختام البحث الحديث عن أساليب الشيطان في الغواية والضلالة وهو المبحث الثاني عشر.. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً عظيماً .. أما بعد:

فإن للشياطين مع المكلفين من الإنس والجن جولات وصولات، ولها نزغات وهمزات، وتأثيرات في القلوب والنفوس والأجساد واضحات، وهي معنوية ومادية، يستعاذ منها بالله ويلجأ في إبعادها ودفع شرها إلى الله، الذي به يستعان وعليه يكون التكلان، وهو المغيث دون غيره ، ولذا كان أمرها عظيماً في كونها التجاء و استجارة و استعانة بالله دون غيره من شر خلقه، فهو باب من أبواب التوحيد عظيم؛ إذ في صرفها لغير الله شرك وكفر بالخالق العليم، لكونه لا يقدر أحد على دفع شر الشياطين إلا بالاستعانة بالله العالم بالخفايا والقادر على دفع الآفات وجلب الخيرات، ولذا أفرد لها المهتمون بالعقائد باباً خاصاً، وجعلوه من عيون التوحيد.

ولكون هذه النزغات لا يحدها زمان، ولا ترتبط تلك الهمزات بمكان، فهي قد تحصل في كل أرض وفي أي وقت وزمان، لذا فإن معرفة ما يتعلق بالاستعاذة والشياطين أمر في غاية الأهمية، وهو ما دفعني للكتابة فيه وتدوين ما يتعلق به من توضيح وبيان للأحكام مستعيناً بآيات الذكر الحكيم وكلام سيد المرسلين عليه الصلاة والتسليم.

وأخيراً فإني ألتجئ إلى الله وأعتصم به من الزلل في قول دونته مجانباً الصواب، أو عبارة مخالفة للحق، سائلاً إياه التوفيق والسداد فيما قلته أو بينته والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: معنى الاستعاذة:

أ- الاستعاذة في اللغة: وردت كلمة (عَوَذَ) في قواميس اللغة ومعاجمها وأريد بها أحد معنيين:

الأول: الالتجاء والاستجارة. فالعين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الالتجاء إلى الشيء.

وأعوذ بالله: أي ألجأ إليه[١].

تقول: عذت بفلان أعوذ عوذاً وعياذاً ومعاذة؛ أي لجأت به وهو عياذي وعَوَذي -محركة- ومعاذي أي ملجئي.

والتعويذ والعُوذة: الرُّقية.

ويقال: معاذ الله أي أعوذ بالله معاذاً، قال تعالى: ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ**﴾[٢] أي نلتجئ إليه ونستعيذ به أن نفعل ذلك[٣].

ويقال: استعاذ، إذا سأل غيره أن يعيذه، قال تعالى: ﴿**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٤].

الثاني: الالتصاق: يقال: أطيب اللحم عَوْذُهُ. وهو ما التصق منه بالعظم فيكون أعوذ بالله: أي ألصق نفسي بفضل الله وبرحمته[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (عوذ): ١٨٤/٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٩.

(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١١١/٤

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٥) التفسير الكبير للرازي: ٦٤/١.

ب- الاستعاذة في الاصطلاح: ويمكن أن نعرِّف الاستعاذة فنقول: هي الالتجاء إلى الله والاعتصام به من شر خلقه بألفاظ مخصوصة، نحو قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أو أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. والأول هو المتفق عليه قال تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [1] والآخر مأخذه قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [2] ويجوز غيرهما ما دام يحقق الغرض. وسيأتي بيان صيغ الاستعاذة في موضعه من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: التفسير اللفظي للاستعاذة:

قوله: (أعوذ): أصل الكلمة (أعْوُذ) بإسكان العين وضم الواو فنقلت الضمة إلى العين لاستثقالها على الواو فسكنت الواو[3].

ومعناه: ألتجئ أو أستعصم أو أستجير أو أستعين أو أستغيث أو أمتنع، وتأتي بمعنى الاستغفار[4].

قوله (بالله): الباء في قوله (بالله): قيل إنها للإلصاق، وقيل إنها باء الاستعانة[5]، وهي متعلقة بفعل محذوف ليقع في الخاطر أن جميع المهمات لا تتم إلا بواسطة الاستعاذة بالله. و(من) للتعليل، ويجوز أن يكون (من) لابتداء الغاية[6].

و(الله) هو اسم مختص بالباري تعالى، وهو اسمه الأعظم، ويذكر هنا؛ لأنه أبلغ في كونه زاجراً عن المعاصي، وللعلماء في أصل الكلمة أقوال كثيرة قاربت الثلاثين قولاً على ما ذكره صاحب البصائر الفيروز

(1) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(2) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(3) انظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢/١ .

(4) تفسير القرطبي: ٨٩/١.

(5) انظر التفسير الكبير للرازي: ١٠٤/١ .

(6) انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي: ٨٦٠/٢.

آبادي[١]، فقيل إنه معرَّب أصله بالسريانية (لاها) محذوف الألف وأتوا بـ أل، وقيل إنه عربي مادته (ل ي هـ) من لاه يليه: إذا ارتفع لارتفاعه تعالى عن مشابهة المثليات.

وقيل مأخوذ من (إلاه) على وزن فعال ومعناه مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب، فأدخلت عليه (أل) فصار (الإلاه) ثم نقلت حركة الهمزة إلى لام التعريف وحذفت الهمزة فصار (أَلِلَاه) ثم أدغم فصار الله.

والإله: ما يطلق على المعبود بالحق وبالباطل، وغلب في إطلاقه على المعبود بالحق، ولهذا الاسم خصائص كثيرة، ولم يتكرر اسم من أسمائه سبحانه تكرره[٢].

قوله: (من الشيطان) مأخوذ من شطن إذا بَعُد، كما سيأتي بيانه، وإنما سمي بذلك لتباعده عن الحق، وتجاوزه الحد، وهو اسم لكل متمرد من الجن والإنس والدواب، لبعد غَورِه في الشر[٣].

وعن أبي عبيدة: أنه اسم لكل عات متمرد من الجن والإنس والحيوانات لبعده من الرشاد[٤].

و(أل) في الشيطان للجنس؛ لأن الشياطين كثيرة مرئية وغير مرئية.

وإنما أمر الرب سبحانه بالاستعاذة من الشيطان بدلاً من إبليس لكثرة أجناس الشياطين وأنواعهم[٥].

قوله (الرجيم) فعيل بمعنى المفعول؛ أي مرجوم بالطرد واللعن، مثل قولك: رجل لعين؛ أي ملعون. وقيل: هو فعيل بمعنى فاعل: أي يرجمُ غيرَه بالإغواء[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز: ١٢/٢.

(٢) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١٨/٢-٢٠.

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢/١.

(٤) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٢/١ واللباب لابن عادل: ٦٨٠/٢.

(٥) انظر: صفوة الآثار للدوسري: ٢٨/١.

وأصل الرجم/ الرمي بقول أو فعل، وهو المبعد من الخير.

ويطلق الرجم على القتل واللعن والطرد والشتم، قال تعالى: ﴿**لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ**﴾ [٢].

وفي كون الشيطان مرجوماً وجهان:

١- مرجوماً أي ملعوناً من قبل الله تعالى، قال تعالى: ﴿**فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ**﴾ [٣]، فاللعن يسمى رجماً قال تعالى: ﴿**لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ**﴾ [٤].

٢- لأن الله أمر الملائكة برمي الشياطين بالشهب طرداً لهم من السموات، ثم وصف به كل شرير متمرد[٥].

قولك (أعوذ بالله): هذا قول يفيد الحصر ومعناه اللهم أعذني، وإنما يقول العبد ذلك وفاء بعهده مع الله، فكأنه يقول: أنا مع نقص البشرية وفيت بعهد عبوديتي بأن قلت أعوذ بالله، فأنت يا رب مع نهاية الكرم وغاية الفضل أولى أن تفي بعهد الربوبية فتقول: إني أعذتك من الشيطان الرجيم[٦].

قولك: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم): أي أستجير بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يغويني في ديني، وألتجئ وألتصق بجناب الله تعالى. وإنما استجار بالله؛ لأنه القادر على تحصيل الخيرات ودفع كل الآفات[١].

---

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢/١.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١١٦.

(٣) سورة الحجر الآية: ٣٤.

(٤) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٥) انظر: التفسير الكبير: ٦٤/١.

(٦) انظر التفسير الكبير للرازي: ٩٦/١ وروح البيان لإسماعيل حقي: ٣/١.

واستجار من الشيطان؛ لأن العبد لا يرضى أن يجاور الشيطان وذلك لكون الشيطان عاصياً وهو لا يرضى بمجاورة العاصي وجوار المعصية. يقول الرازي: .. أنه لا يرضى بأن يجاور الشيطان، وإنما لم يرض بذلك؛ لأن الشيطان عاصٍ وعصيانه لا يضر هذا المسلم في الحقيقة، فإذا كان العبد لا يرضى بجوار العاصي فبأن لا يرضى بجوار عين المعصية أولى[٢].

ووصف الشيطان بالرجيم؛ لأنه طرد ورجم من قبل الله تعالى، ومن كان هذا مصيره وتلك صفته، فإن على العبد المطيع أن يلعنه ويطرده بقوله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

المبحث الثالث: حكم الاستعاذة:

أ- مشروعيتها:

الاستعاذة على قول جمهور أهل العلم مشروعة في كل الأوقات؛ لأن سببها لا يتوقف على وقت معين فهي مشروعة عند نزغ الشياطين وهو في أي وقت يكون قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾ [٣] من دون تخصيص بوقت وزمان، كما أنه ليس لها تعلق بمكان، فكانت المشروعية في كل وقت وآن.

ب- حكمها في الصلاة:

اختلف العلماء في حكمها في الصلاة، فذهب قوم إلى أنها سنة مستحبة، مستدلين بالآية الكريمة قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ قالوا الأمر هنا للندب، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلمها الأعرابي المسيء في صلاته، ولو كانت واجبة لما جاز تركها والله أعلم وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله.

---

(١) انظر: صفوة الآثار للدوسري: ١/٢٥.

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١/٩٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية، ٢٠٠.

وذهب آخرون إلى أنها واجبة كعطاء وابن سيرين والثوري[1]، وبه قال الإمام أحمد وطائفة[2]، وذهب الإمام الشافعي إلى وجوبها في الركعة الأولى من الصلاة، وعنده يجهر بها وإن أسر لم يضر ذلك، وكذا قال الإمام أبو حنيفة وهي عندهم في الصلاة للقراءة لا للصلاة. وهو قول الجمهور[3] بمعنى أن المأموم يتعوذ وإن كان لا يقرأ[4]، ومن أدلتهم في هذا قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [5]، فالأمر هنا للوجوب، وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل، والحكم يتكرر بتكرر العلة[6]. ولمواظبة الرسول صلى الله عليه وسلم عليها فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[7]. ولا شك أن الاقتداء به واجب في العبادات قال تعالى: ﴿**واتَّبِعُوهُ**﴾ [8]، وكذا لفعل الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم لأنها تدرأ شر الشيطان، وهو واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب[9].

وأما وقتها فقد اتفق الأكثرون على أن وقت قراءتها قبل قراءة الفاتحة لقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾ [10]، ولرواية أبي سعيد الخدري السابقة وهي صريحة في كون الاستعاذة قبل القراءة.

---

(١) انظر: المدونة للإمام مالك: ٦٤/١، وتفسير القرطبي: ٩٨/١.
(٢) تفسير القرطبي: ٩٨/١ وانظر: الشرح الكبير لابن قدامة: ٤٢٩/٣ وكذا المغني: ١٤٥/٢.
(٣) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٢٥٨/١.
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٤/١.
(٥) سورة النحل، الآية: ٩٨.
(٦) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٤٥/٢ واللباب في علوم الكتاب لابن عادل: ٦٦٦/٢.
(٧) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الصلاة، باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة (ح٢٤٢-١٥٣/١).
(٨) سورة الأعراف، الآية:١٥٨.
(٩) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٤٥/٢، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٢٥٨/١.
(١٠) سورة النحل، الآية: ٩٨.

وذهبت طائفة منهم النخعي وداود الأصفهاني الظاهري وإحدى الروايتين عن ابن سيرين إلى أن القراءة تكون بعد الاستعاذة، محتجين بأن قراءة القرآن شرط، وذكر الاستعاذة جزاءٌ، والجزاء متأخر عن الشرط، فوجب أن تكون الاستعاذة متأخرة عن القراءة. قالوا: وهذا موافق لما في العقل؛ لأن من قرأ القرآن فقد استوجب الثواب العظيم فربما بداخله العجب فيسقط ذلك الثواب لقوله عليه الصلاة والسلام (ثلاث مهلكات) وذكر منها: إعجاب المرء بنفسه. ولهذا السبب أمره الله تعالى بأن يستعيذ من الشيطان؛ لئلا يحمله الشيطان بعد القراءة على عمل يُحبط ثواب تلك الطاعة[1].

يقول إلكيا الهراسي الطبري[2]: ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقاً، احتجاجاً بقوله بقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ قال: ولا شك في أن ظاهر ذلك يقتضي أن تكون الاستعاذة بعد القراءة لقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا**﴾[3]، إلا أن غيره محتمل مثل قوله ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا**﴾ [4].

وقد نقل ابن عادل الحنبلي في لبابه قولاً ثالثاً عزاه لابن الخطيب أنه قال: يقرأ الاستعاذة قبل القراءة بمقتضى الخبر، وبعدها بمقتضى القرآن- يقصد ظاهر الآية-جمعاً بين الدلائل بقدر الإمكان[5].

ولا شك أن ما قاله هو وإلكيا الهراسي من قبله بعيد، يقول ابن العربي في معرض الرد على من قال بتأخير الاستعاذة عن القراءة: لقد انتهى العي بقوم إلى أن قالوا: إن القارئ إذا فرغ من قراءة القرآن حينئذٍ يستعيذ بالله من الشيطان[6].

---

(1) انظر: اللباب لابن عادل ٦٦٢/٢ والحديث ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٣٢٧/٣ والسيوطي في جامعه الكبير: الكبير: ٤٩/٢ وأبو نعيم في الحلية: ٣٤٣/٢.

(2) انظر: أحكام القرآن لإلكيا الهراسي الطبري: ٢٤٥/٣.

(3) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(4) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(5) انظر: اللباب لابن عادل: ٦٦٥/٢ وانظر: التفسير الكبير للرازي: ٦٧/١.

(6) أحكام القرآن لابن العربي: ١١٧٥/٣.

وقال ابن الجزري: لا يصح شيء من هذا عمن نقل عنه ولا ما استدل به[١].

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن معناه: إذا أردت القراءة، فهي كقوله تعالى: ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ**﴾[٢] وكقوله: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا**﴾ [٣] فالمعنى الذي له شرعت الاستعاذة يقتضي أن يكون قبل القراءة ولم يرد ما يثبت أن الاستعاذة تكون بعد التلاوة وكما هو معلوم، فإن التلاوة سنة متبعة، يضاف إلى هذا أن الغرض من الاستعاذة هو دفع نزغات الشيطان ووساوسه عند القراءة قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ**﴾ [٤]، فالشيطان يسعى ليصد القارئ عن القراءة؛ لكونها من أعظم القربات ولأن القراءة تزيد الإنسان رغبة في فعل الطاعات ورهبة عن المحرمات، ولهذا يحتاج الإنسان إلى من يصونه من شر هذا الشيطان ودفع وساوسه فيلتجئ إلى القادر العليم. ثم إن من الغايات تطهير الفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له وتهيؤ لتلاوة كلام الله، فهي التجاء إلى الله واعتصام بجنابه من خلل يطرأ عليه أو خطأ يحصل منه في القراءة وغيرها إقراراً له بالقدرة واعترافاً للعبد بالعجز[٥]. ولهذا كان قبل القراءة لا بعده.

والراجح والله أعلم أنها مستحبة في الصلاة؛ لأن القول بفرضيتها ووجوبها يتطلب الدليل الصريح الذي لا يقبل التأويل، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها الأعرابي حين علمه الصلاة[٦]. ووقتها في في التلاوة قبل القراءة لا بعده وهو مذهب الجمهور الموافق لظاهر النص وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ونقل الصحابة، والحكمة من القراءة، والله أعلم.

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٢٥٥/١.

(٢) سورة المائدة: الآية: ٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٤) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٢٥٦/١.

(٦) المراد به تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي المسيء في صلاته حين علمه كيفية الصلاة.

ج- حكم الاستعاذة في التلاوة:

الاستعاذة مستحبة عند قراءة القرآن لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الاستعاذة مستحبة وليست متحتمة في القراءة بكل حال، حاملين الأمر في الآية على الندب لا الوجوب[١]، في حين ذهب آخرون إلى الوجوب عملاً بظاهر الآية[٢]. وإليه جنح الفخر الرازي مستنداً إلى الآية وكذا مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليه، ثم لأن بها يدرأ شر الشياطين وهو أمر واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[٣]. وبهذا قال ابن حزم الظاهري[٤].

والذي يترجح لي والله أعلم أنها لا تصل إلى درجة الفرضية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها الأعرابي حين علمه الصلاة، ولو كانت فرضاً لما جاز للرسول ترك تعليمها؛ لكون المقام مقام بيان وتعليم ولا يجوز التأخير. ولهذا يحمل الأمر في الآية على الندب والاستحباب، والله أعلم.

والمختار عند أئمة القراءات والمعول عليه الجهر بها عند افتتاح القرآن[٥] بحضرة من يسمع، أما في الصلاة أو خالياً فالإخفاء أولى[٦]. وعن حمزة روايتان الأولى: إخفاؤها مطلقاً في أول الفاتحة وغيرها. والثانية: الجهر بها في أول الفاتحة وإخفاؤها في سائره[٧].

وأما الوقف عليها في التلاوة فيقول ابن الجزري: يجوز الوقف على الاستعاذة والابتداء بما بعدها بسملة كان أو غيرها. ويجوز وصله بما بعدها، والوجهان صحيحان. قال: وظاهر كلام الداني رحمه الله تعالى: أن الأولى وصلها بالبسملة[١].

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل: ٦٦٨/٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٨٦/١، وانظر: سراج القارئ المبتدئ: ٢٧.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي: ٦٨/١.

(٤) المحلي لابن حزم: ١٨٢/٢.

(٥) انظر: التبصرة لمكي: ٢٤٦، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٢٥٢/١.

(٦) انظر: كتاب الأم للإمام الشافعي: ١٠٧/١، وسراج القارئ المبتدئ: ٢٦.

(٧) التبصرة لمكي: ٢٤٦.

المبحث الرابع: أركان الاستعاذة:

سبق أن ذكرت في التعريف الاصطلاحي أن الاستعاذة هي قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وعلى هذا تكون أركان الاستعاذة خمسة:

١- لفظة الاستعاذة: وهي قول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، على الراجح أو أي صيغة من صيغها.

٢- المستعيذ: هو الذي عرف نفسه إنه عبد مربوب فالتجأ إلى ربه وخالقه القادر القاهر الغلاب أن يمنعه مما لا طاقة له بشرِّه ولا يقدر على التخلص منه إلا بمعونته وعصمته(٢). وهو كل واحد دون تعيين أو تخصيص. وجاء في تفسير الرازي(٣) أن الله تعالى قد حكى ذلك عن أنبيائه عليهم السلام، فعن نوح عليه السلام قال: ﴿**رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ**﴾ (٤).

وقال يوسف عليه السلام ﴿**مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**﴾ (٥) وقال: ﴿**مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ**﴾ (٦).

وقال موسى عليه السلام لقومه ﴿**أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (٧) وحين خوَّفوه من القتل قال لهم: ﴿**وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ**﴾ (٨) وقال: ﴿**إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾ (١).

---

(١) النشر لابن الجزري: ١/٢٥٧، واللباب لابن عادل: ٢/٦٦٨.

(٢) صفوة الآثار للدوسري: ١/٢٥.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي: ٢/٧٢-٧٣

(٤) سورة هود، الآية: ٤٧.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٧٩.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٨) سورة الدخان، الآية: ٢٠.

كما حكي ذلك عن الأولياء الصالحين فقال عن أم مريم ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ (٢) كما قالت مريم عندما أتاها جبريل ﴿**إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**﴾ (٣).

وكذا أمر الرب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ به من كل شر ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**﴾ (٤) وقال: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (٥) والأمر للرسول أمر لأمته.

٣- المستعاذ به: وهو الركن الأعظم للاستعاذة، فيستعاذ بالله سبحانه وبكلماته وعزته وقدرته وبجميع أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾(٦) وقال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ (٧) وقال: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ**﴾(٨) كل في موضعه. فعند قراءة القرآن يستعاذ باسم الله الأعظم؛ لأن الشيطان يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يوصل إليك الضرر ويمنعك من إتمام القراءة على الشكل الأكمل وقد يكون في غير القراءة أقل ضرراً.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٣) سورة مريم، الآية: ١٨.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧-٩٨.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٦) سورة النحل، الآية:٩٨.

(٧) سورة الفلق، الآية: ١.

(٨) سورة الناس، الآيتان: ١-٢.

وفي مواضع أخرى يستعاذ على حسب مقتضى الأمر والسياق فيستعاذ برب الفلق إذا كان الأمر يتعلق بحفظ النفس والبدن، ويستعاذ بغير ذلك في مواضع أخرى، ويذكر الرازي أن في تخصيصه وجوهاً:

أ- أن القادر على إزالة الظلمة الشديدة عن العالم يقدر على دفع ما يخافه العائذ ويخشاه.

ب- أن الإنسان ينتظر طلوع الفجر وكذا الخائف ينتظر مجيء الفرج.

ج- أن الصبح هو وقت لدعاء المضطرين وإجابة الملهوفين(١).

٤- المستعاذ منه: يستعاذ من شر كل مخلوق ليبقي خيره (من شر ما خلق) يقول الدوسري رحمه الله: المستعاذ منه هو الشيطان على اختلاف أجناسه وأنواعه من الجن والإنس لدفع شره الحسي والمعنوي، وتطهير القلب من أنواع فتنه(٢). يستعاذ من شر كل مخلوق ليبقي خيره (من شر ما خلق) فيستعاذ من شر الشياطين من الجن والإنس والدواب أجمعين قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾ ، وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذوناً فطفق يتبختر به فجعل يضربه ثم نزل وهو يقول: ما حملتموني إلا على شيطان(٤).

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٩١/٣٠.

(٢) صفوة الآثار للدوسري: ٢٥/١.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٤) أورده الطبري في تفسيره: ١١١/١، وذكره ابن كثير في تفسيره: ١٦/١ وقال: إسناده صحيح. وابن عادل في اللباب: اللباب: ٦٨١/٢.

ويستعاذ من الجهل وعمل الجاهلين قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (١) وقال: ﴿**رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ**﴾ (٢).

ويستعاذ من الظلم ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ**﴾ (٣) وممن خيف منه ضرراً ﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا**﴾ (٤) ومن ارتكاب الفاحشة ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**﴾ (٥) ومن الرجم ﴿**وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ**﴾ (٦).

ويستعاذ من همزات الشياطين ونزغاتهم ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ**﴾ (٧) ومن حضورهم ﴿**وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**﴾ (٨). وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر خالداً أن يتعوذ بكلمات الله التامة من غضب الله وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون.

كما يستعاذ من كل متكبر ومتعظم لا يؤمن بيوم الحساب ﴿**إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾ (٩).

كما يستعاذ من كل زمان فيه مظنة خروج ضرر أو شر قال تعالى: ﴿**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾(١)؛ وذلك لكون الليل فيه توقع للمجهول الخافي الضار فلزم الأخذ بالأحوط، وكذا من كل شر أو ضرر ضرر لا يستطيع الإنسان الوصول إلى نفي أثره ﴿**مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٧.

(٣) سورة يوسف، الآية:٧٩.

(٤) سورة مريم، الآية: ١٨.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

(٦) سورة الدخان، الآية: ٢٠.

(٧) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

(٨) سورة المؤمنون، الآية: ٩٨.

(٩) سورة غافر، الآية: ٢٧.

وإنما يستعاذ بالله لمطالب كما يقول الشيخ الدوسري، وهي نوعان:

أحدهما: طلب دفع جميع الشرور الروحانية والجسمانية مما يحصل به السلامة من جميع أنواع الفتنة المادية والروحية، فتنة الشبهات أو الشهوات، وكلها أمور غير متناهية ولا مأمون عليها، فيجب على الإنسان أن يكون مجاهداً نفسه عنها لله وفي الله دائماً وأبداً فيما يقدر عليه ويستعيذ به مما لا يقدر عليه ليحصل منه على العصمة ويحصل له العون والمدد الروحي الذي يحصنه ويقوي معنويته وينور بصيرته بسبب ما تلبس به من التقوى فلا يضره عدوه في دينه أو بدنه أو ماله، ولا يصده عن فعل ما يلزمه من حق ربه.

وثانيهما: طلب العون من ربه على أداء ما أوجب عليه في هذه الحياة من أن يكون هادياً مهدياً محافظاً لحدود الله معظماً لشعائره حاملاً لرسالته ساعياً بإصلاح ما أفسده المبطلون في أرضه على ضوء الوحي الذي ورثه من نبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو مسؤول عنه ومعاقب على التفريط فيه بشتى العقوبات العاجلة والآجلة، فهذا بعض مدلول الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم[٢].

المبحث الخامس: **صيغ الاستعاذة**:

المختار لجميع القراء[٣] من حيث الرواية هو قول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لقوله تعالى في سورة النحل ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [٤]، ولقوله صلى الله عليه وسلم "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"[٥]. وقد نقل عن حمزة أنه كان يقول: أستعيذ، ونستعيذ. لمطابقته لفظ الآية في قوله تعالى ﴿**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾.

(١) سورة الفلق، الآية: ٣.

(٢) صفوة الآثار للدوسري: ٢٦/١ ويوصي الباحث القارئ الكريم بقراءة ما كتبه الدوسري عن الاستعاذة؛ فإن فيه خيراً عظيماً ونفعاً جسيماً.

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٢٤٣/١ وانظر: المحرر الوجيز: ٤٨/١ واللباب لابن عادل: ٦٥٧/٢.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب. ٩٩/٧ وأبو داوود في سننه ٢٤٩/٤.

وقيل صيغة الاستعاذة هي: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وهو اختيار الإمام أحمد لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [1] جمعاً بين الآيتين. ويدل على هذا ما ورد عن معقل بن يسار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال حين يصبح ثلاثاً أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ثلاث آيات .. إلخ[2].

وقيل: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم. وهي قراءة أهل مصر وأهل الشام وسائر بلاد المغرب كما جاء عن الداني في جامعه[3].

ومثل هذه الصيغ كثرت عند ثلة من المقرئين ودارت على ألسنتهم؛ حيث أكثروا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى كقولهم: أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد[4]، أو إضافة زيادات تتعلق بتنزيه الله تعالى كقولهم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم، و كقولهم : أعوذ بالله العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم . ويقف ابن عطية من هذا موقفاً وسطاً فلا يجزم بعدم جوازه كما أنه لا يحبذه[5].

والذي يتبين لي والله أعلم أن الاستعاذة بأية صيغة كانت فهي مجزية ما دامت تؤدي الغرض وتحقق المطلوب الذي لأجله شرعت، يقول الحلواني في جامعه كما نقل السيوطي عنه: وليس للاستعاذة

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب: ٢٢، الحديث رقم (٣٠٩٠): ٢٥٣/٤. وانظره في زاد المسير لابن الجوزي: ٤٩/٤ والشرح الكبير لابن قدامة: ٤٣٠/١٣.

(3) انظر: تفسير القرطبي: ٨٧/١، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤٩/١ والنشر لابن الجزري: ٢٥٠/١.

(4) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٩/١.

(5) تفسير القرطبي: ٧٨/١ والنشر لابن الجزري: ٢٤٤/١ وانظر في صيغ الاستعاذة: شرح الزركشي على مختصر الخرقي: ٥٤٥/١.

حد ينتهي إليه، من شاء زاد ومن شاء نقص[1]. مع أن الأولى في كل أمر الالتزام بالصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

المبحث السادس: أنواع الاستعاذة:

الاستعاذة نوعان: أ- مشروعة ب- غير مشروعة.

أ- الاستعاذة المشروعة: وتكون بالله الخالق وبأسمائه وصفاته مما ذكر في المستعاذ منه، وهي مشروعة في كل الأوقات والأزمان والأمكنة وقد تتعين في بعض الأحيان، وذلك لكون سببها لا يتوقف على وقت دون آخر، فالإنسان معرض للهمزات والنزغات من الشياطين.

ولا تكون الاستعاذة مقبولة إلا بالعلم والحال والعمل، فعلى العبد أن يعلم أنه عاجز عن جلب المنافع وعن دفع المضار وأن الله هو النافع الضار القادر، فإذا حصل هذا لدى العبد اعتقاداً انعكس أثر ذلك على سلوكه فيتضرع إلى الخالق ويخضع له، ويعبر عن هذا التضرع وهذا الاعتقاد باللسان طالباً تلك المعنى التي هي الاستعاذة... [2].

والاستعاذة في الحقيقة إشارة إلى حاجة العبد إلى ربه حاجة تامة وإقرار على النفس بالفقر والعجز، ولهذا كانت عبادة وكان في صرفها لغير الله تناقض واضح مع التوحيد.

ب- الاستعاذة غير المشروعة: كالاستعاذة بالمخلوق من الجن والإنس الأحياء والأموات، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾ [3].

---

(1) الإتقان للسيوطي: ١/٣٣٠.

(2) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١/٦٥.

(3) سورة الجن، الآية: ٦.

إن الاستعاذة عبادة يجب صرفها لله دون غيره من عباده، وهي دعامة من دعائم التوحيد في صرفها لغير الله تعلق بغير الله، وقد ذم الله الكافرين على ذلك قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾(١) يقول القرطبي: واستمتاع الإنس بالجن هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾ (٢) وأما استمتاع الجن بالإنس أنهم يعترفون أن الجن يقدرون أن يدفعوا عنهم ما يحذرون(٣). وهذا فيه تعظيم واستعاذة وخضوع له، فالاستعاذة بالمخلوق شرك ولهذا استدل العلماء بقوله صلى الله عليه وسلم: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، استدلوا بذلك على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك نهي عنه.

المبحث السابع: فضائل الاستعاذة المشروعة:

وردت في فضائل الاستعاذة روايات مأثورة، ونتائج ملموسة أكدت أن الاستعاذة أمرها عظيم، وأن في الغفلة عنها ضرراً جسيماً، ولذا لا يدعها ذو العقل السليم والإيمان القويم، ومن تلك الروايات الثابتة:

ما رواه البخاري عن سليمان بن صرد قال: استبّ رجلان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس، وأحدهما يسبّ صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الجن، الآية: ٦.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٨٤/٧.

كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم؟! قال: إني لست بمجنون[1].

فعند الغضب يحجب العقل، وعلى العقل يتوقف كثير من المصالح، فإذا استعاذ العبد عاد إليه عقله وذهب المانع عنه، يضاف إلى ذلك أن العبد يغضب ليقهر خصمه، فإذا ذكر الله والتجأ إليه علم أن الله أقوى منه، ومع ذلك قد تجاوز عنه مرات ومرات فكان عليه هو أن يتجاوز عن صاحبه الذي غضب عليه[2]. يقول ابن قيم الجوزية: لما كانت المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة وكانت نهاية قوة الغضب القتل ونهاية قوة الشهوة الزنى، جمع الله بين القتل والزنى وجعلهما قرينين في سورة الأنعام وسورة الإسراء وسورة الفرقان وسورة الممتحنة، وأرشد عباده إلى ما يدفعون به شر قوتي الغضب والشهوة في الصلاة بالاستعاذة[3].

روى معقل بن يسار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان له تلك المنزلة[4].

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من استعاذ في اليوم عشر مرات وكّل الله تعالى به ملكاً يذود عنه الشيطان.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي: ٧٣/١.

(٣) زاد المعاد لابن قيم الجوزية: ٤٦٣/٢.

(٤) سبق تخريجه.

وعن خولة بنت حكيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل(١).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا فزع أحدكم من النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن شر همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لا تضر(٢).

روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: أعيذكما بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة. ويقول: كان أبي إبراهيم عليه السلام يُعوذ بهما إسماعيل وإسحق عليهما السلام(٣).

ولتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم أمر الاستعاذة قال لامرأة تزوجها حين دخل عليها وقالت: أعوذ بالله منك. قال لها الرسول: عذت بمعاذ فالحقي بأهلك(٤).

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يُلَبِّسها علي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك شيطان يقال له خَنْزَب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً. قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني(٥).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء فيما يقول إذا نزل منزلاً، حديث رقم (٣٤٩٩): ١٥٩/٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: (٩٦) حديث رقم (٣٥٩٠): ٢٠٠/٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء: ١١٩/٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطلاق: ١٦٣/٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة حديث رقم (٢٠٢٢) : ١٧٢٨/٤.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل بني آدم يمسه الشيطان في يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها[١]. يقوم أبو السعود في تفسيره: إن الله عصم مريم وابنها من الشيطان ببركة تلك الاستعاذة[٢].

كانت تلك جملة من الأحاديث الواردة في فضل الاستعاذة ذكرها الرازي[٣]. وغيره اكتفيت بسردها دون غيرها وهي كثيرة مبثوثة في كتب السنة.

المبحث الثامن: مدلول لفظ الشيطان:

أ- الشيطان في اللغة:

الشيطان واحد الشياطين على التكسير.

قيل مأخوذ من (شطن)، فالنون فيه أصلية يدل على البعد، يقال شطنت الدار تشطن شطوناً: إذا بعدت. ونوى شطون: أي بعيدة[٤].

قال النابغة:

نأت بسعاد عنك نوىً شطون فبانت والفؤاد بها رهين

ويقال بئر شطون: أي بعيدة القعر[٥].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم (٢٣٦٦): ١٨٣٨/٤.

(٢) انظر: تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود: ٢٩/٢.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي: ٧٣/١.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (شطن): ٣١٢/١١.

(٥) تهذيب اللغة (شطن): ٣١٢/١١ والبيت للنابغة وهو في ديوانه: ٢٠.

وعلة التسمية شيطان هنا لبعده عن الحق وتمرده عليه، وعليه فكل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب "شيطان"[1]، ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ . كما ذكر ابن فارس.

وقيل مأخوذ من "شاط" يشيط، أي احترق غضباً[2]، وقد يكون سمي الشيطان به لكونه مخلوقاً من قوة النار، ولكونه من ذلك اختص بالقوة الغضبية والحمّية الذمية.

والأصح كما قال صاحب البصائر: أنه مأخوذ من شطن أي تباعد[3].

وهو في الاصطلاح: اسم جنس لكل متمرد عارم عاتٍ من الجن والإنس والدواب، ولكل من تعاون مع إبليس وكان من جنوده في الإغواء وتحبيذ المنكر والفحشاء والصد عن سبيل الله والدعوة إلى طريق الباطل بأي أسلوب وتحت أي شعار أو مذهب[4].

ب- لفظ الشيطان في القرآن:

استعمل القرآن الكريم لفظ الشيطان لأربعة معانٍ هي:

١- الكهنة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ [5] أي كهنتهم كعب بن الأشرف وغيره.

٢- الحيات، قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [1] أي الحيات قال الفراء: في الشياطين في العربية ثلاثة أوجه:

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (شطن): ١٨٣/٣. والتبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢/١ وصفوة الآثار للدوسري: ٢٦/١.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (شطن): ١٨٣/٣ والتبيان للعكبري: ٢/١.

(3) انظر: بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ٣١٩/٣.

(4) انظر: صفوة الآثار للدوسري: ٢٦/١.

(5) سورة البقرة، الآية: ١٤.

أحدها: أنه يُشَبِّه طلعُ هذه الشجرة في قُبحِه برؤوس الشياطين؛ لأنها موصوفة بالقُبح وإن كانت لا تُرى، وأنت قائل للرجل إذا استقبحته: كأنه شيطان.

والوجه الثاني: أن العرب تسمي بعض الحيات شيطاناً وهي حية ذو عُرف قبيح المنظر.

الوجه الثالث: إن الشيطان نبتٌ قبيح يُسمى برؤوس الشياطين[٢].

١- الطغاة من الإنس والجن، قال تعالى: ﴿**شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**﴾[٣].

٢- إبليس وأولاده، قال تعالى: ﴿**أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ**﴾ [٤] وقال: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ**﴾ [٥] وقال: ﴿**إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا**﴾ [٦] وقال: ﴿**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [٧] وله نظائر.

المبحث التاسع: أصل الشيطان "إبليس":

حدثنا القرآن الكريم عن إبليس في غير ما موضع، وأخبرنا الله سبحانه عنه وعن أفعاله وصفاته وما جرى له مع أبينا آدم ومع الملائكة من قبل في غير ما آية، وقد اختلف العلماء في حقيقته وتنازعوا في بيان أصله، فتعددت أقوالهم وتباينت مع أن القرآن العظيم بين ذلك بقوله: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [٨] وقال: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا**

(١) سورة الصافات، الآية: ٦٥.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٨٧/٢ وتهذيب اللغة للأزهري (شطن): ٣١٣/١١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٢. انظر: إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني: ٢٦٤.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٧) سورة النحل، الآية: ٩٨ وانظر في ذلك بصائر ذوي التمييز: ٣٢١/٣.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [1]، وبمقتضى الأمر الصريح للملائكة بالسجود ورفض إبليس السجود وما ترتب على ذلك من العقاب قال بعض أهل العلم إبليس من الملائكة، والآية الأخرى بينت أنه كان من الجن، وذهب آخرون إلى الجمع فقالوا أصل إبليس والملائكة واحد. وتفصيل القول في ذلك:

الرأي الأول: "إبليس من الملائكة"

قال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** [2] قوله: **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾** نصب على الاستثناء المتصل، لكونه كان من الملائكة، وهو قول الجمهور من علماء الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم، وهو ظاهر الآية، قال ابن عباس: وكان إبليس من الملائكة واسمه عزازيل، وكان من أشرف الملائكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه الله فصار شيطاناً[3].

فالله سبحانه استثناه من الملائكة حين أمرهم بالسجود والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل، أو لصلح دخوله، وذلك يستجوب كونه من الملائكة.

والقول إن الاستثناء منقطع لا يستقيم؛ لأنه لا يصار إلى الاستثناء المنقطع إلا عند الضرورة، ولا ضرورة هنا.

قالوا: ولولا أن إبليس من الملائكة لما كان قوله: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** [4] متناولاً له، ولو لم يكن متناولاً له لاستحال أن يكون تركه

(1) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(2) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(3) ذكره القرطبي في تفسيره: ٢٩٤/١.

(4) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

للسجود إباءً واستكباراً معصية، ولما استحق الذم والعقاب، وحيث حصلت مثل هذه الأمور علمنا أن الخطاب يتناوله ولا يتناول ذلك إلا إذا كان من الملائكة.

وقالوا عن مقولة بعضهم: أن إبليس كان جنيّاً بين الملائكة وأجرى عليه حكم الأكثرية. قالوا: هذا قول لا يستقيم؛ لأن إجراء حكم الكثير على القليل يجوز إذا كان ذلك القليل ساقط العبرة غير ملتفت إليه، وأما إذا كان معظم الحديث عن ذلك القليل، لم يجز إجراء حكم الكثير عليه. ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ (١).

وقد بيّن أصحاب هذا الرأي أن النصوص الأخرى مؤولة فقالوا عن قوله تعالى: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ (٢) أنه لما عصى إبليس الله مسخه الله فصار جنياً كما مسخ اليهود فصاروا قردة(٣).

الرأي الثاني: "إبليس من الجن"

في مقابل الجمهور ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن إبليس هو من الجن بصريح قوله تعالى: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ (٤) ولهذا وجب أن لا يكون من الملائكة. ومن أدلتهم في هذا الشأن:

قالوا إن الله سبحانه وصف الملائكة بأنهم لا يعصون الله ولا يستكبرون قال تعالى: ﴿**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (٥) وإبليس لم يكن كذلك فوجب أن لا يكون منهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٣) انظر: تفسير روح المعاني للآلوسي: ٢٢٩/١.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٥) سورة التحريم، الآية: ٦.

وقالوا: إن الملائكة يختلفون في أصل خلقتهم عن إبليس، فقد خلقوا من نور وهو خلق من نار، ويدل على ذلك حديث عائشة في مسلم: خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم[1]. قال تعالى على لسان إبليس ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ [2] وقال تعالى: ﴿**قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾ [3].

وقالوا إن إبليس له ذرية كالجن والملائكة لا ذرية لهم، قال تعالى: ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي**﴾ [4] وفي هذا إثبات لذريته، أما الملائكة فلا ذرية لهم؛ لأن الذرية تحصل من الذكر والأنثى والملائكة لا أنثى فيهم، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ**﴾ [5].

الرأي الثالث: "الجن والملائكة أصلهم واحد"[6]

وذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول بوحدة أصل الجن والملائكة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ [7] وهو في الوقت نفسه من الملائكة بدليل استحقاقه للعقاب للعقاب حين أبى السجود مع الملائكة في تلقيهم للأمر بالسجود ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ**﴾ ومقتضى ظاهر الآيتين أن الجن والملائكة أصلهم واحد. فالملائكة هم النوع الأعلى المعصوم من الجن الخفي، وإبليس وذريته هم النوع الأسفل، ولذلك أبى السجود والانقياد.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: أحاديث متفرقة، حديث رقم (٢٩٩٦): ٢٢٩٤/٤.

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(3) سورة الإسراء، الآية: ٦١.

(4) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(5) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(6) انظر هذا الرأي في : مختصر تفسير المنار: ٤٩/١ والتوحيد في القرآن للدكتور محمد صالح مصطفى:١٠.

(7) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

وأصحاب هذا الرأي لا يرون الاستثناء المنقطع في لغة العرب؛ إذ لو قالوا به لبطل ما ذهبوا إليه، ولذلك يكفي في الرد على هذا القول ما قاله الإمام ابن حزم الظاهري في كتابه الإحكام في أصول الأحكام حين قال: اختلفوا في نحو من أنحاء الاستثناء فقالت طائفة: لا يجوز أن يستثنى الشيء من غير جنسه أو نوعه المخبر عنه، وقالت طائفة: جائز أن يستثى الشيء من غير جنسه أو نوع المخبر عنه، وبكلا هذين القولين قالت طوائف من أصحابنا الظاهريين ومن إخواننا القياسيين. يقول: ونحن نقول إن استثناء الشيء من غير جنسه أو نوعه المخبر عنه جائز واسمه في العربية الاستثناء المنقطع، وهو حينئذ ابتداء خبر آخر كقائل يقول: أتاني المسلمون إلا اليهود. فهذا جائز كأنه قال: إلا اليهود فإنهم لم يأتوني.

قال: وهذا لا ينكره نحوي أو لغوي أصلاً إذا كان على الوجه الذي ذكرناه.

ويتابع قائلاً: والبرهان القاطع في ذلك قوله تعالى: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى**﴾ [1] وقال: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ [2] فلم يدع تعالى للشك هنا مجالاً إلا بيّنه، وأخبر إن إبليس كان من الجن.

قال: وقد حمل التهور قوماً رأوا نصر مذهبهم ههنا فقالوا: إن الملائكة يسمون جناً لاجتنانهم. قال علي –يعني ابن حزم– : وهذا قول فاحش من وجوه:

أحدها وأوضحها قول الله تعالى إذا سأل الملائكة ﴿**أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ فقالت الملائكة ﴿**سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ**﴾ [3] ففرق تعالى بين الجن والملائكة فرقاً كما ترى.

الوجه الثاني: إخباره صلى الله عليه وسلم: أن الملائكة خلقت من نور والجن خلقت من نار.

---

(1) سورة الحجر، الآية: ٣٠-٣١.

(2) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(3) سورة سبأ، الآية: ٤١.

الوجه الثالث: إجماع الأمة على أن من سمى جبريل وميكال جنياً فقد كفر. وبهذا يظهر بطلان هذا القول.

ويتابع فيقول: كيف تجوز تسمية الملائكة جناً والله تعالى يقول: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [1] وما علمنا أن مسلماً يقول: إن أحداً من الملائكة يدخل جهنم، وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ ۞ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾[2] أفتراه تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يستعيذ من شر الملائكة. هذا ما لا يظنه أحد.

أيجوز أن يقول قائل الجن حافون من حول العرش. هذا ما لا يجيزه مسلم.

وقد أخبر سبحانه أن الجن عن السمع لمعزولون ودون السماء بالشهب مقذوفون وأن الملائكة بخلاف ذلك ﴿**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا**﴾[3].

- القول المختار:

وبعد عرض أقوال العلماء في بيان حقيقة إبليس أقول وبالله التوفيق:

إننا إذا تأملنا الآيات التي تتحدث عن الملائكة والجن والإنس، وكذلك تلك التي تقص علينا قصة آدم مع الشيطان، يمكن لنا أن نقول إن هناك ثلاثة أنواع من الكائنات المكلفة هي الملائكة والجن والإنس.

أما الملائكة فإنهم عباد الله الذين يسبحونه ويطيعونه، فلا يفترون ولا يعصون، خلقهم الله من نور كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها، وهم رسل الله وحفظة خلقه.

---

(1) سورة السجدة، الآية: ١٣.

(2) سورة الناس، الآيات: ١-٦.

(3) سورة الجن، الآية: ٩.

وأما الجن والإنس فإن منهم الصالح والطالح والكافرون من الجن خاصة هم الشياطين الذين يوسوسون للناس ليستجيبوا لهم وليصبحوا شياطين الإنس، وقد خلق الله الجان من مارج من نار.

وتشترك الملائكة والجان في الاجتنان وهو الخفاء والاستتار، فالجن بمعناه اللغوي يشمل الملائكة غير أن الاستعمال القرآني يفرق بينهما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ [1] فدل ذلك على أن الجن كانوا قبل آدم، وكان إبليس من الجن لكنه كان من المقربين فكان يجالس الملائكة.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم إشعاراً لهم بأهمية هذا المخلوق وما سيكلفون به اتجاهه لا ابتلاء واختباراً[2] والله أعلم لأنه لا وجه لاختبارهم وهم الذين لا يعصون الله أبداً قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [3]، ومن ثم سجدوا كلهم أجمعون ولم يأب منهم أحد، أما إبليس فقد كان أمر الله إياه بالسجود إبتلاءً واختباراً، ولهذا قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿**كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ ؛ أي لو كان من الملائكة لم يفسق، فلأنه كان من الجن فقد كان يتمتع بحرية الاختيار. ثم إنه لو كان من الملائكة لما كان هناك وجه لبيان أنه من الجن، ومثل ذلك يقال لمن يقول إن الملائكة من الجن، فلو كانوا من الجن لما كان هناك داع لذكر أن إبليس من الجن ما دام يبق ذكر الملائكة، وإنما ذكر أنه من الجن ليبين —والله أعلم– أن الجن غير الملائكة، فالجن قد أعطوا حرية الاختيار في الخير والشر وقد اختار إبليس طريق الشر، بعصيانه واستكباره، فأصبح في عداد الشياطين، بل أصبح الشيطان الأكبر؛ لأنه أخذ على نفسه عهداً بإغواء بني آدم، ولذلك فإن الله

(1) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(2) إلى هذا المعنى ذهب الأستاذ أبو الأعلى المودودي في تفهيم القرآن: ٦١/١.

(3) سورة النحل، الآية: ٤٩.

سبحانه بعد أن ذكر عصيانه واستكباره وسكن آدم الجنة قال: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا**﴾ (1) فأطلق عليه اسم الشيطان بعد أن عصى واستكبر، أما قبل ذلك فقد كان يدعي إبليس.

ولو أنا استعرضنا الآيات التي ورد فيها ذكر الشيطان أو الشياطين لأدركنا أن الأصل أن يطلق اسم الشيطان على الجان الكافر، فإذا تقرر هذا وأدركنا أن إطلاق اسم الشيطان على إبليس بعد أن كفر يدل على أنه كان من الجن.

ولسائل أن يتساءل: إذا كان إبليس من الجن فكيف شمله الأمر بالسجود مع أنه كان موجهاً للملائكة؟ وللإجابة يقال إن السؤال ساقط من أصله؛ لأنه باستثناء إبليس علم أن الأمر كان موجهاً إليه أيضاً فاستغنى عن ذكره أولاً لما كان سيذكر أمره بالتفصيل فيما بعد، ويمكن تشبيه الاستثناء في الآية بقولنا: وإذ قلنا للرجال انطلقوا فانطلق الرجال مسرعين إلا هند فإنها مشت الهويني. فلم نذكر "هنداً" مع الرجال لأننا كنا ننوي الحديث عنها بالتفصيل بعد ذكر الرجال.

ولو سلم بصحة السؤال فالجواب:

أولاً: أن يقال إن الأمر شمل إبليس؛ لأنه كان معهم، فكل أمر يؤمر به الملائكة كان يشمل إبليس على وجه الابتلاء والاختبار.

ثانياً: أنه أمر بالسجود على وجه الخصوص أي وجّه إليه أمر خاص بدليل قوله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾ (2) وعندئذٍ يكون الاستثناء منقطعاً وتكون "إلا" بمعنى "لكن"، فكأنه يعني –والله أعلم– : فسجد الملائكة كلهم أجمعون لكن إبليس أبى عندما أمرناه بالسجود، والاستثناء المنقطع كثير في لغة العرب وبخاصة في القرآن الكريم ومن ذلك:

(1) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ**﴾ [1] ومعلوم أنهم وآباءهم كانوا يعبدون الأصنام، وقد نصت على ذلك الآيات التي ذكرت قبل ما ذكرناه، فالاستثناء هنا لا يمكن أن يكون متصلاً لكون الله لا يدخل ضمن ما كانوا يعبدون، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومثل قوله تعالى: ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ۞ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۞ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ**﴾ [2].

ومثل قوله: ﴿**قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ [3] قال القرطبي فيه: هو استثناء منقطع[4].

وأخيراً بقى أن أشير إلى أن الملائكة يختلفون عن الجن في أصل الخلقة والوظيفة، فمن حيث الخلقة خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من نار، يدل على ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها السابق، وبدليل قوله تعالى: ﴿**وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ**﴾ [5] والنور غير النار، نعم قد يقال إن النور أثر من آثار النار، غير أنه قد يوجد نار ولا ثمة نور كقول العرب في تشبيه الخطر الخفي: إنه كالنار تحت الرماد. وقد يكون هناك نور من غير نار ﴿**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾ [6]، كما أن هناك فرقاً بين الأثر والمؤثر؛ فالنار تحرق والنور لا يحرق.

---

(1) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥-٧٨.

(2) سورة الغاشية، الآيات: ٢٢-٢٤.

(3) سورة الأنعام، الآية: ١٢٨.

(4) انظر: تفسير القرطبي: ٨٤/٧.

(5) سورة الرحمن، الآية: ١٥.

(6) سورة النور، الآية: ٣٥.

أما من حيث الوظيفة فقد اصطفى الله الملائكة من بين خلقه ليسبحوه، وليوكل إليهم ما يريد من مهام تتعلق بخلقه في هذا الكون، أما الجن، فإنهم مثل الإنس خلقهم الله للعبادة والابتلاء ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (١).

وأخيراً فإن من الآيات الدالة على أن الملائكة ليسوا من الجن قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ**﴾ (٢) والله أعلم.

المبحث العاشر: غاية الشياطين:

الشيطان عدو لدود للإنسان، تعهد بإغوائه وسخر جنده لإضلاله، لا يكل عن متابعته، ولا يمل عن ملاحقته، يتصدى له في كل وقت وحين، فهو يرى نفسه خيراً منه، وأن الإنسان كان السبب في إبعاده وطرده ولعنه، فلا يتوقف عن تزيين الباطل وتجميله لإغوائه، عداءٌ تاريخه طويل وجذوره عميقة، لا تزول أسبابه، ولا تنقضي مدته، يعود إلى اليوم الذي أمر الله فيه الملائكة بالسجود لآدم، فسجدوا إلا إبليس حين ادعى الخيرية، فاستكبر فكان من الغاوين وقال: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ (٣) فطرده الله من جنة الخلد شر طردة، وكتب عليه الخزي واللعن إلى يوم القيامة، بأن أعطاه وعداً بإبقائه إلى يوم الدين، فأخذ اللعين على نفسه إضلال الناس والكيد لهم، قال: ﴿**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ**﴾(٤)، وعلى هذا كان فهو قد تعهد ببذل كل السبل لتحقيق الإضلال للناس من غير أن يملّ أو يكلّ، تعهد بأن لا يترك طريقاً للغواية إلا ويسلكه، وقد حذر الرب جلت عظمته ووسعت رحمته منه ومن أساليبه

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠-٤١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦-١٧.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (١) وقال ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (٢). وهدف الشيطان أن يحرم الإنسان من نعيم الجنة المقيم، ويلقيه في ويل الجحيم، بتثبيط الهمم العالية، وتزيين الضلالات الهابطة، فيوقع في الشرك من كان بعيداً عنه، يدعوه إلى عبادة غير الله ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ (٣)، جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا، حتى يقول له: من خلق ربك. فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته(٤).

فإن عجز عن إيقاع الناس في الشرك، نصب شراكه، ونفث في عقده، فزين الباطل وشجعه وأخرجه كأجمل زينة كخضراء الدمن، فيقع في الذنب. جاء في سنن الترمذي: ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحقرون من أعمالكم فيرضى بها(٥). فإن عجز عن ذلك حاول صد العباد عن طاعة الخالق، ووضع الحواجز والمتاريس في كل طريق للخير سالك، قعد فيه وجنده يصد الناس عن الخير ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦).

فإن عجز وخسئ حاول إفساد الطاعات من غير ملل ليحرم بني آدم تمام الأجر والثواب، جاء أحد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي، قراءتي يلبسها عليَّ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك شيطان يقال له خَنْزَب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً. قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني(٧). مما سبق نستنتج أن كل مخالفة لله هي طاعة للشيطان، والشيطان يأمر بكل شر ويحث عليه وينهي عن الخير وينفر منه.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده: ٩٢/٤.

(٥) أخرجه الترمذي بنحوه في سننه، كتاب: البر، باب: ما جاء في التباغض،حديث رقم (٢٠٠٢) : ٢٢١/٣.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

(٧) أورده البخاري بنحوه في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده: ٩٥/٤.

إن غاية الشيطان إيذاء بني آدم جسدياً ونفسيّاً، وتحقيق عهده في إغوائهم وإبعادهم عن رحمة الله، إنه يأتي الإنسان حتى في منامه لإيلامه وإلحاق الأذى به يقول صلى الله عليه وسلم: الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الرحمن ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا حديث نفس(١).

وقد يلجأ إلى الدخول في جسد الإنسان لإزعاجه وإلحاق الأذى به وصرعه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك، وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع(٢).

مما سبق يتبين للقارئ شيء من عمل الشيطان ووظيفته التي هي النزغ والإفساد والإغواء والإغراء، وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب.

المبحث الحادي عشر: أنواع الشياطين:

للشياطين جنود وأعوان، من الدواب والناس والجان، الجان منهم يهاجمون عباد الله المتقين راكبين راجلين، يقصدون تحريك الشر في النفوس، وهدم ركائز الخير فيها، قال تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ**﴾(٣)، وقد ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها أن لكل لكل إنسان شيطاناً لا يفارقه: خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندي ليلاً فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال: مالك يا عائشة أغرت؟ قلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك. فقال: أقد جاءك شيطانك؟ قلت يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: نعم. قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم. قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم(٤).

---

(١) صحيح الجامع الصغير للألباني: ٣/١٨٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٩/١٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: إن مع كل إنسان قريناً، حديث رقم (٢٨١٤-٢٨١٥): ٤/٢١٦٧.

وروى الإمام مسلم عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير(١).

وللشيطان أولياء من الإنس اتخذوه ولياً وهو لهم عدو، ساروا على خطاه ورضوا بكفره وإضلاله ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾ (٢)، وجنوده من الإنس كثر يصعب عدهم غير أنه ميسور التعرف عليهم؛ إذ هم كل إنسي ارتضى الضلالة وارتكب الغواية وركن للإفساد. إنهم أهل الكفر على اختلاف أنواعهم ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ (٣) ﴿**وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا**﴾ (٤).

يقول ابن القيم: ولما كانت الشياطين على نوعين: نوع يُرى عياناً وهو شيطان الإنس، ونوع لا يرى وهو شيطان الجن، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة منه.

قال: والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن، والعفو والإعراض والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شر شياطين الإنس، قال الشاعر:

وما هو إلا الاستعاذة ضارعاً   أو الدفع بالحسنى هما خير مطلوب

فهذا دواء الداء من شر ما يُرى   وذاك دواء الداء من شر محجوب(٥)

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٩.

(٥) زاد المعاد لابن القيم: ٤٦٢/٢.

وركب عمر بن الخطاب برذوناً فطفق يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبختراً فنزل عنه وقال: ما حملتموني إلا على شيطان(١).

وقد يطلق الشيطان على كل قوة ذميمة في الإنسان قال صلى الله عليه وسلم: الحسد شيطان والغضب شيطان. وذلك لأنهما ينشآن عنه(٢).

المبحث الثاني عشر: أساليب الشياطين في الغواية:

إنه الشيطان تتنوع أساليبه وتتعدد طرق غوايته فهو لا يترك سبيلاً إلا ويقعد بها، ولا وسيلة إلا ويمتطيها، بقصد الغواية، وإرشاداً للضلالة، وقد صنّف ثلة من العلماء عن طرقه ومكائده بأهل الإيمان كتباً مستقلة وأحاديث مستفيضة ولعلي أذكر هنا جملة من تلك الأساليب:

١- تزيين الباطل:

يعتمد إبليس تزيين الباطل بصوره وأشكاله من أسرع الوسائل لتنفيذ غاياته، فهو لا يترك سبيلاً إلا ويسلكه لإضلال العباد، يصور الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ﴿**رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ (٣) يقول ابن القيم وهو يتحدث عن تزيين الشيطان للباطل: ومن مكايده أنه يسحر العقل حتى يكيده، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينفره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء حتى يخيل إليه أنه يضره(٤).

وبهذا الأسلوب اللعين زين لآدم عليه السلام حتى أكل من الشجرة التي حرمها الله عليه، وبهذا الأسلوب يزين الباطل حتى إن البعض يندفع إلى ما زين له الشيطان –فرآه حسناً– بقوة لتحقيق مراده وهو فيه هلاكه ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ**

(١) سبق ذكره.
(٢) ذكره ابن عادل في اللباب في علوم الكتاب: ٦٨١/٢ والحديث بنحوه في مسند الإمام أحمد: ٢٢٦/٤
(٣) سورة الحجر، الآية: ٣٩-٤٠.
(٤) إغاثة اللهفان لابن القيم: ١٣٠/١.

﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [1]، فهم يصدون الناس عن السبل القويمة ظانين أنهم على الحق **﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾** [2].

إن الشياطين يزينون الباطل فيقدمون زينة الدنيا في أجمل حلة ليعرض العبد عن الآخرة **﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾** [3]، ولهذا تراهم يسمون المحرمات بأسماء محبوبة للنفوس ليخدعوا بها الإنسان **﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾** [4].

٢- إلقاء الكسل في النفوس وتثبيط الهمم:

ويتبع في ذلك أنجع الأساليب والطرق حتى يلقي الكسل والهوان في النفوس ويقعدها مستسلمة للباطل، كلما أراد الحياة وعزم على النهوض أراد له الصغار والركون إلى الأرض. جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نائم ثلاث عقد يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا رجع خبيث النفس كسلان[5]. والآثار في هذا المعنى كثيرة جداً.

وقد يقوم بإلقاء الوسوسة فيحبب للإنسان الكسل ويزرع فيه حب التأني المذموم وعدم الإسراع في الإقدام على الفعل المحمود، كل ذلك ليفوت عليه العمل الصالح والأجر العظيم.

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٥.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده: ٩١/٤.

٣- الوعود الكاذبة وإظهار النصح:

يعد ويمني كل إنسان فلا يتبعه إلا من ارتضى لنفسه الهوان، وعودٌ وأمانيٌّ بقصد الإضلال والتمادي، نشر للفساد وتصميم على الإفساد، إبعاد عن الجادة وجنوح عن الحق ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ (١)، فمن ارتضى الباطل وسار بقوة يريد خضراء الدمن ندم وخسر في الدنيا قبل الآخرة فهو سرعان ما يتخلى عن أتباعه، يتركهم في الغواية يتخبطون، ولأصابع الندم يعضون، ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ**﴾ (٢).

يظهر النصح وكأنه الصاحب الأمين، ويقسم على ذلك لزرع اليقين، فإذا أفلح وأوقع في المعصية فرّ هارباً فرحاً بتلبيسه وإضلاله ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ (٣)، وكذا يفعل في كل وقت وحين.

٤- إلقاء الشبهات:

يلقي الشكوك ويزرع الشبهات، كلما عجز عن تزيين الباطل وتثبيط الهمم، يقصد زعزعة العقيدة للإضلال، جاء في الأثر عنه صلى الله عليه وسلم: يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته(٤). حتى الأنبياء الذين هم بأمر الله معصومون، وبالوحي مع الله متصلون، يلقي الشيطان في أمنيتهم إذا تمنوا، قال تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(٥).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢١..

(٤) سبق تخريجه

(٥) سورة الحج، الآية: ٥٢.

٥- حض العباد على ارتكاب المحرمات:

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾[1].

يحضهم على ارتكاب كل ما نتائجه وخيمة، وآثاره عقيمة، لا يزال يحض على ارتكابها وإتيانها حتى يصل بالعبد إلى ما وصل إليه هو من الكفر ومن الطرد واللعن ونار الجحيم.

٦- حب الدنيا:

حب الدنيا رأس كل خطيئة، وما يشاهده العبد كل يوم من سفك للدماء وهتك للأعراض وسرقة للأموال وسلب للحقوق، إلا أثر من آثار التعلق بالدنيا وحبها والصراع على حطامها والحرص على كسبها بأية وسيلة، وكل ذلك إنما هو لزرع حبها في النفس لتحل مكان حب الله وذكره وطاعته.

اللهم إني أعوذ بك وبأسمائك وصفاتك من شر شياطين الجان والإنس والدواب، ألتجئ إليك إلهي، وأستعصم بك، لا ملاذ لي إلا أنت، ولا ناصر لي إلا أنت، أعوذ بك من كل شر، وأسألك من كل خير، وفقني لما تحبه، وأبعد الوسواس الخناس عني، وأبعدني عنه إنك مجيب، إنك مجيب، إنك مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠-٩١.

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين أبي بكر السيوطي؛ تقديم وتعليق: الدكتور مصطفي ديب البغا ٠– ط١ ٠– دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.

- الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي ابن حزم الأندلسي ٠–ط١ ٠–بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

- أحكام القرآن لأبي بكر محمد ابن العربي؛ تحقيق علي محمد البجاوي ٠– مطبعة عيسى البابي الحلبي ط بدون، سنة بدون.

- أحكام القرآن لإلكيا الهراسي عماد الدين الطبري؛ ضبطها جماعة من العلماء ٠–ط١ ٠– بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٠–ط١ ٠–دار الفكر، ١٣٩٥هـ.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ٠–إحياء التراث العربي، ط بدون.

- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للحسين بن محمد الدامغاني؛ تحقيق عبد العزيز سيد الآهل ٠– ط٢ ٠–بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي؛ تحقيق محمد علي النجار ٠–بيروت، لبنان: المكتبة العلمية، طبعة بدون.

- التبصرة في القراءات السبع لأبي محمد مكي بن أبي طالب؛ تحقيق محمد غوث الندوي ٠– ط٢ ٠–الهند: الدار السلفية، ١٤٠٢هـ.

- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري؛ تحقيق: محمد علي البجاوي ٠-مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط بدون، سنة بدون.

- التفسير الكبير "مفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازي ٠-ط٣ ٠-بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير؛ تحقيق عبد العزيز غنيم، مطبعة الشعب، طبعة بدون.

- تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي؛ تعريب احمد إدريس ٠-ط١ ٠-الكويت: دار القلم، ١٣٩٨هـ.

- التوحيد في القرآن للدكتور محمد صالح مصطفى. مخطوط.

- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ٠-القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، طبعة مصورة.

- روح المعاني لشهاب الدين الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، طبعة بدون.

- سراج القارئ المبتدئ لأبي القاسم علي بن عثمان البغدادي ٠-ط٤ ٠-دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

- زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ٠-ط٢٣ ٠-بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.

- سنن الترمذي للإمام أبي عيسى الترمذي؛ تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الرحمن محمد عثمان ٠-ط٣ ٠-دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

- الشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة المقدسي؛ تحقيق معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ٠-ط١ ٠-القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ.

- صحيح الإمام البخاري لأبي عبد الله البخاري، المكتب الإسلامي ٠-إستنبول، تركيا.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته؛ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٠-الرياض: إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠هـ.

- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم للشيخ عبد الرحمن الدوسري ٠-ط١ ٠-الكويت: مكتبة دار الأرقم، ١٤٠١هـ.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميمة؛ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.

- المحلي لأبي محمد بن حزم؛ تحقيق حسين زيدان طلبة ٠-ط٢ ٠-مصر: مكتبة الجمهورية، ١٣٩٢هـ.

- مختصر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، أتمه وعلق عليه محمد أحمد كنعان٠-ط١ ٠-بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

- مختصر الزركشي على مختصر الخرقي لمحمد بن عبد الله الزركشي؛ تحقيق عبد الله ابن عبد الرحمن الجبرين، على نفقة الشيخين عبد العزيز ومحمد الجميح ٠-ط٣ ٠-الرياض.

- المغني لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي؛ تحقيق معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح الحلو ٠-ط٣ ٠-الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ.
- منهج ابن عادل في تفسير اللباب في علوم الكتاب وتحقيق سورة الفاتحة لابن عادل الحنبلي؛ تحقيق مناع القرني، رسالة دكتوراة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٤هـ.
- النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير ابن الجزري؛ تصحيح الأستاذ علي محمد الصباغ ٠-دار الفكر، طبعة بدون، سنة بدون.